بن ميلود صلاح الدين

تحت ظلال الهدى

رواية

تحت ظلال الهدى

بن ميلود صلاح الدين

الكتـــــــــــاب: تحت ظلال الهدى

تـــــــــــــأليف: بن ميلود صلاح الدين

تدقـــــــــــيق: بلخير خولة

النوعيــــــــــة: رواية

الطبعة الأولـــــى: 2021

صدر عن كتوباتـي: 2024م

التنسيق والتصميم: مكتبة كتوباتي

النشر الإلكترونـي: مكتبة كتوباتي

support@kotobati.com

www.kotobati.com

كل الأفكار المذكورة في الكتاب لا تعبر عن مكتبة كتوباتي.

وكل الحقوق محفوظة لدى المؤلف.

الفهرس

نبذة عن القصة 4
المدينة الشّرقية 5
ربيع بائس 11
أوّل الشّقاء 15
رسالة فرجينيا الأولى..17
من فرجينيا إلى ربّ الدّنيا..22
المسرحية..25
المشهد الأول: الطّفلة اليتيمة 29
الرسالة الثانية: من فرجينيا إلى حاكم البلاد..34
الرّؤيا..35
النّداء 37
المشهد الثاني: عنوان مسرحيتنا اليوم هو "أصابك عشق 44
من بيدرو إلى فرجين 51
الإنذار..54
الشعور الحقيقي..62
إسمي شمس الهدى 74

نبذة عن القصة

يروي لنا هذا الجزء من القصة أحداثا عاشتها فتاة في مقتبل العمر وجدت نفسها على حين غرّة يتيمة الأبوين تصارع وحشيّة المدينة المشؤومة بحكّامها المتسلّطين واستغلال المجتمع لها بمختلف أطيافه. تسعى هاته الأخيرة بإرادة من صميم الصّخر للمكابدة باستمرار في سبيل توفير حياة كريمة لإخوتها الصّغار متحدّية شقاء القدر وعناء القهر وزهرة شبابها يوما بعد يوم في اندثار إلى أن أشرقت روحها ذات يوم حين أبصرت شمس الهدى.

المدينة الشّرقية

لم يتبقّ على خروج فصل الشّتاء سوى أيّام قليلة، البرد القارص الّذي يسبق سنا السّحاب فيتزامن مع هطول المطر، يصطحبه تلاعب الرّيح ليزجّ به فيستقرّ فوق مدينة الشّقاء، المدينة الّتي تقبع بين الأوتاد الشّامخة والّتي دامت صامدة منذ الأزل، بالأحرى هي المالكة لهاته الأرض والوارثة الوحيدة للمدينة، فالجبال هي أعمدة الدّنيا الّتي تشدّ عضدها وتحافظ على اتّزانها، هي الّتي تتوّج نفسها بتاج من ثلج وبرد وتلبس رداء الجليد، هذه الأخيرة الّتي أعطت لسكّانها صلابة وقوّة وشدّة كما أعطتها حزنا ويأسا ويوجد أسفل الرّاسيات نهر يستنشق ريح المدينة الطّيب وشهيقه زمهرير قاتل، فلا يسمع منه خريرا مؤنسا بل ألما مهلكا، لكن التفاف الجدول ينحدر إلى أطراف المدينة ليطوقها بلمعان مياهه ويحيي أرضها وينبت عشبها لتعطي ربيعا قويا مليئا بالتفاؤل ولعلّه يعطي الحياة لمدينة الضّباب الّتي أخذت نصيبها فقط من المساحات الكبيرة والهضاب الشّاسعة، فقدم المنطقة جعلها تستقطب خليطا من الأجناس الّذين يختلفون في الأديان والتّقاليد، لكن حكم الدّولة جعلت من سلطتها منفذا لتنفّس عن غضبها في المواطنين

وتفرغ فيض غيضها فيهم فتستعبدهم وتظلم نصفهم، الحاكم عنصريّ نرجسيّ، تربى تربية الملوك الطّواغيت فكان رجل عصره في التّجبر والظّلم، توارث الحكم أبا عن جدّ لكن حقده المتوارث تملّكه وسيطر عليه حتى استحوذ شيطان الشّهوة على قلبه، فصار عبدا له، ينقاد لأوامره مواليا له لا يفارقه كقرينه، هذا الأخير قسّم المدينة إلى نصفين: النّصف الأول عزل فيه سكّان الرّيف المتواجدين وسط الرّاسيات وبين الهضاب القابعة على أطراف المدينة، هم بالنّسبة للملك أنبذ القوم وأحقرهم، يجعلهم يدفعون ضرائب العيش والسّكن ولو استطاع بيع الهواء لباعه لهم، يستعبدهم إن أرادوا العمل لدى الدّولة، ولا حقّ لهم أن يدخلوا النّصف الثّاني من المدينة من غير إذن أو أن يخرجوا منها كيفما شاءوا، يطلق على سكّانها بالمنطقة الشّرقية لأنّ جذورهم تنحدر من الشرق وهم قدماء المدينة وظلم المستعمر جعلهم يمكثون في الرّيف، أمّا النّصف الآخر هم بنو أصله وصلبه من المتغطرسين القادمين من غرب المدينة المستعمرين الّذين دخلوها عنوة وبقوّة غرسوا حكمهم فيها ويسمّيهم حاكمهم بالطّبقة الرّاقية للمدينة الغربيّة.

على أطراف المدينة الشّرقية يوجد مسكن من أهل الرّيف لأسرة صغيرة لا تقلّ فقرا عن باقي سكّانها، أسرة "فرجينيا" الّتي تتكوّن من أربعة أشخاص لا يملكون سوى أب مريض طريح الفراش أرهقته الحياة وأخذت أهم شيء فيه ألا وهو صحّته، هذا الأب الّذي تربّى صلبا يجابه صعوبات الدّنيا وبلاءها وظلم أهلها، لم يخيّل له يوما أن يكون في مثل هاته الحالة المزرية، أصابه الإحباط وغطّى عليه الحزن فأربكه إحساسه بالعجز عن التّكفل بعائلته الصّغيرة وألم زوجته الرّاحلة تربّى بداخله وظلّ ينخر قلبه حتى أسقطه سقيما عليلا، تخلّى عنه كلّ من حوله لأنّه لا ينتمي للمدينة الغربيّة ولا من السّكان الأصليّين المدنيّين فلم يحظ بالامتيازات أو بتعاون من الدولة أي لا يملك أيّ حق فيها، فما تبقّى له سوى ذلك المنزل الهشّ الصّغير وزاد يسير يجمعه بعد كد وعناء طويل، وكذلك أبناؤه "فرجينيا" الأخت الكبرى "لبيدرو وسيليا"، هي أمّهم الثّانية البنت القويّة الجميلة، الّتي تحرص على أن تبني أسرتها تحت سقف الحبّ والأمان مليئة بالحنان، هي من تضيء بنجومها ظلمات المنزل، هي من تكبّدت عناء الأم في سنّها الصّغير، فلا تسمع أنين لمرض إلّا ووافته في الحال، فكانت كملك يجثم على كتف أبيها لا تغادره أبدا، تهب إليه قبل أن يناديها وتقومه عن حبّ بلا نكد ولا أفّ، هي

ذكرى زوجته المتوفّية، حتى أنّ لها نفس خصالها وجمالها، "فرجينيا" ذات الشّعر الحريريّ وعين المها، وصوتها الطّنّان في الآذان يطرب سامعها، لا تلفظ إلّا بحسن ولها لسان الشّاعر في المدح، فردوسيّة الوجنتان لها ثغر بقبلات الملائكة يسير بازدواجية فيرسم وجه الملاك على محياها، أشرفت على تربية أخيها "بيدرو" بيديها فكسب هو الآخر حنان الأخت وورث شدّة أبيه فتمتّع ببنية صلبة ومنكبين عريضين وقوّة تحمّل فاقت عمره، "من ميزات الفقر أن يرسم على جسمك شيم الرّجال، يغيّر نبرتك من بريئة إلى خشنة وكذا عينيك من لطيفة إلى حادّة وحزينة" ذلك ما جعله يصبح خير سند لأخته، أمّا "سيليا" ذات البنية الصّغيرة والوجه البلّوري والجسم الهزيل لطيفة الكلام وكثيرة البكاء، تظلّ ملتصقة بفرجينيا لا تفلتها ولا تتركها لحظة، تراها أمّها لا تقوى على فقدانها والابتعاد عنها.

عاشت "فرجينيا" بهذا الجمال في حزن وحيرة على أسرتها وأبيها، لديها ذكاء وعقل سديد سبّب لها بقع سوداء مصبوغة بحزن في قلبها، كلّ ما يجول في مخيّلتها وعقلها هاته التّساؤلات :

- كيف أعين أسرتي؟
- هل نصيب حظّي من الدّنيا شقاء وبؤس؟

- من قسّم الأقدار؟

- كيف أكمل حياتي هكذا ولماذا تركتنا أمّنا؟ وما حال أبي؟

كلّ هذه التّساؤلات خرّبت مخيّلتها وأكلت شبابها، الحزن أسرها والحيرة تملّكتها وقهرتها، شقاء الحياة غطّى روحها وجفّ من ماء وجهها، كبرت هذه الحزينة في هذا البيت المتواضع تلمّ شتات أسرتها وتسارع لأبيها وترتّب منزلها وتفرش لإخوتها، ولا تترك شيء إلّا ووافته في الحال، مضت سنوات نسيت فيه "فرجينيا" من هي نست نفسها فوهبت عمرها لذكرى والدتها ومنزلها، وفي يوم من الأيام زاد مرض أبيها وأصبح لا يبرح مكانه ولو شبرا يتأوّه ويتألّم ويصرخ فيتقطّع قلب المسكينة وتقبع على رأسه، تربت بيدها الحنينة لعلّها تستطيع أن تخفّف عنه أو تنقل ألمه إليها، ثم ترفع رأسها للسّماء تترجّى ربّها أن يخفّف عنهم كربتهم، في هذه اللّحظة يفتح "بيدرو" نصف الباب وتتبعه "سيليا" ذات العين البريئة ملتصقة به ليريان مشهدا طالما أحزنه وخنق صدره وضاق منه خاطره، يرى أخته الكبرى ووالده على هذه الحالة المزريّة، لقد كبر وأصبح في سنّ المراهقة لكن بقلب رجل هش متفتّت، كجذوة نخلة ظاهرها قوي وبداخلها فراغ مؤلم.

صورة "فرجينيا" وهي ساقطة بجانب أبيها تضع راحة يدها على خدّه ويقبّلها هو الآخر من يديها تارة ويحن بخدّه على راحتها تارة أخرى، المشهد أسقط قطعة من قلب "بيدرو" وهوت به في القاع والأعماق أين يكمن حزنه وحسرته، فغطّى عينيّ "سيليا" رحمة ولطفا عليها لكي لا ترى مثل هذه الأمور، وحملها ذاهبا بها إلى فناء المنزل، ذلك المكان الّذي يطلّ على جبال القرية، أبعدها كي لا تترسّخ صور الحزن في قلبها وهي صغيرة، بلع حزنه وتظاهر بالتّفاؤل ثمّ بدأ يحكي للصّغيرة عن بعض أفعاله المضحكة لكي ينسيها تلك الصّورة ويحافظ على قلب شقيقته، لا يريدها أن تعيش حياته كل ما يهمّه هو ملئ حنان أمّهم المتوفيّة وأن يرى ابتسامة "سيليا" فذلك الشّيء الوحيد الّذي يخفّف عنه ثقل الهموم.

****

ربيع بائس

ها قد حلّ فصل الرّبيع فصل الزّهور والحياة الّذي يعكس جمال الطّبيعة الخلّابة ويتميّز بالرّمزيّة والتّجدّد الّذي يأتي بعد سبات الشّتاء فيرسم لنا أشكالا عدّة من النّباتات الخضراء ويوقظ أجمل الحيوانات لتسرح فيه بكلّ أمل وحبّ، لذلك يقال من عاش سعيدا فقد ولد في فصل الرّبيع لكن هذه المقولة لا تنطبق على سكّان المدينة الشّرقيّة، ربيع أو شتاء لا يهمّ ما دام الملك ينغص عليهم معيشتهم ويعلّق رقابهم بحبل أوّله في يده وآخره في جنده، يسلّطون سوطهم على المدينة بأكملها بتجّارها ومزارعيها وأهلها يجمعون الضّرائب قصرا وعنوة ويحتكرون الطّعام عمدا سياسته " كن عبدا أو تكن عبئا"، قهر الرّجال الّذي أصاب والد فرجين هو ما حمله على العمل في المدينة فكيف لا وهو يرعى أطفالا صغارا لا يملكون سواه، لكن بعد المرض الذي أصابه استغنت عنه الدّولة بحجّة أنه صار عبئا ولا سبيل له في العيش هناك، في هذا الرّبيع الزّاهر والجميل وصل حال عائلة "فرجين" أقصى درجات الفقر المدقع، وأشدّ الألم هو الألم النّاتج عن الجوع، بكاء "سيليا" ودموع خدّيها لا تقوى عليهم الأمّ "فرجينيا" وما عاشته من ضغط

أجبرها على التّحول إلى الرّجل الّذي يذهب ليقتات ويعيل، الرّجل السّاعي المسؤول على النّفقة وجلب العيش فتأخذ بيد "بيدرو" الّذي حتما لا يتركها تكابد عناء المنزل وحدها، كما يخشى عليها من قطّاع الطّرق، أصبح بعمره الصّغير يظن نفسه رجلا قادرا على تدبّر أمور عائلته، وغيرته على دينه فكان يهوديا محافظا على تقاليد الدّين فلا يتركها تخرج من الباب إلّا ومرتدية شال على رأسها تاركة أطراف شعرها يسقط على جبهتها، وكان متديّنا لا يتخلّف عن صلواته في المعبد أبدا.

تركت "فرجينيا" أختها "سيليا" نائمة بجانب أبيها، وراحت تجول مع "بيدرو" باحثة عن طعام أو قماش تواري به منزلهم، وتملأ بطن أختها الصّغيرة، وترضي به فؤاد الأب، فكانت حمّالة للأثقال ويقطف بيدرو الأزهار بدوره الّتي سقاها ندى الصّباح، وأعانه ماء النّهر الّذي أعطى جذوتها خضرة فزينها، وبرد الجبال وصقيعه خشّن أوراقها فأبقت على لونها الجميل لكن تصلّبت من البرد فكانت تشبه أخته الكبيرة، "بيدرو" الرّجل الصّلب الّذي جابه صعوبات الحياة صاحب القلب الملطّخ ببقع الأسى والحزن، اليد الغليظة المتعبة من مشقّات الحياة كل هاته الصّفات تعرف جيدا كيف تختار أزهار الأقحوان وتعقل بياضها، تعرف جيّدا كيف تميّز أرجوانية الأركيد وأين

تكمن مناطق نموّها، أقصد ذلك الألم النابع من القلب يعرف كيف يختار الأجمل ويقطف الأحسن، ذلك هو "بيدرو" يجلب باقات فريدة جميلة ليعطيها "لفرجينيا" كي تبيعها بكلّ أسف بثمن بخس، لمن؟ لأصحاب الغطرسة لسكّان المدينة الرّاقية المدينة الّتي تعجّ بالمتكبّرين والمتسلّطين يشتريها منها ذلك الرّجل النرجسيّ ليهديها لحبيبته ظانّا أنّه هو من اختارها وهو من انتقى أندر الزهور يتباهى بما جلبه "بيدرو" لينال رضا عشيقته فتبتسم هاته الأخيرة وتشكره بتطبّع وتصنّع للحياء ويشقّون طريقهم إلى الملاهي، تراقبهم أعين المسكينة" فرجينيا"، ثمّ تزيح ناظريها لتكمل عملها حتّى تنتهي كل باقات الورود، ولا يبقى في يديّ هذه الجميلة سوى رائحة الزّهور تتعطّر بها وتعطّر شيء من نفسها المليئة بالتّعب " شهيق برائحة البنفسج وزفير برائحة التّعب"، فتجني ما تجني

وتعود أدراجها إلى المنزل حيث المدينة الشّرقية المظلمة، خطواتها تتسارع كلما تذكّرت نصف روحها "سيليا" الّتي تقابلها كلّ يوم ببهجتها منتظرة الحلوى من أختها الكبيرة أو بالأحرى أمّها، تحملها "فرجينيا" وتذهب بها إلى أبيها لتقصّ عليه يومها، تحكي له كما يحكي الطّفل البريء عن أشياءه فلها قلب أنثى حزين يغمره قلب أمّ حنين، لكنّها ذات عقل رزين، وكلّ ما

تحبّه المرأة في جوفها مكبوت دفين، فتعجل لتحكي له عن أزهار البنفسج والأركيد، أو عن فراشات الرّبيع الّتي حلّقت حول قرطها فلامست شعرها الحريري، وودّت لو حكت عن نسيم الجبل الّذي أحيى وجهها وزاد خدّيها احمرارا، أو شكل الغيوم وصوت الطّيور ولمع السّيول، لكن لا شيء من هذا يخرج من جوفها سوى المدينة الدّنيئة الّتي عبست في وجهها وغطت جمالها وآلمت ظهرها وسلخت أنوثتها وأحزنت قلبها والنّظرات القاسيّة للرّجال لها، وسخريّة البنات منها، أو تحكي عن عبء الحياة الّذي قد كسر خاطرها فتطأطئ رأسها ولا تأبى أن تحكي عن جمال في نفسها لأبيها خوفا أن تغيظه، المسكين الّذي لا يستطيع أن يعينها لا تبوح بأيّ شيء له كي لا تشقى عليه كثيرا فتشعره أنّه حقّا عبئا في الحياة، ولا تحكي عن انكسار بداخلها فيؤنّبه ضميره ويزداد ألمه ضعفين، فاكتفت المسكينة بصنع ابتسامة لا هي بروح فرح ولا بحزن ظاهر، وتقوم "فرجينيا" بعدها كالعادة تطبخ حساء يجمعهم ويلمّ شملهم لكي تسعد بعض الشّيء فلا تملك سوى ضحكات الأمل والبأس والفقر والجمال الّتي تعلوهم.

أوّل الشّقاء

تتالت الأيّام وزاد ألم الأب وطغى عليه المرض فنادى كلّ أولاده حوله ليكمل أيامه الأخيرة على أنغام أصواتهم وحضن "سيليا"، يضمّ "بيدرو" إلى صدره يشم ريحهم لعلّه يلقاها في جنّته أو تؤنسه في قبره، المسكينان لا يزالا صغيرين ولا يطيقان العيش دونه يبادلانه بعناق حميم كأنّهما شعرا بقرب أجله، آنسته حرارة العناق ألمه ودنت أميرته "فرجينيا" إليه، ودموع ثقيلة تثقب العين تسيل منها قد أحرقت جمال خدّيها وتقول لا يا أبي لا تفعل لا تتركنا، من لنا بعدك؟

بكى الأب وأزاح وجهه عليها ليرتاح من حمل ثقل عينيها الحزينتين قليلا، تذكّر تصاميم زوجته تفاصيل وجهها تذكر أوّل لقاء لها وكيف سمّياها "فرجينا"، تذكّر ما عانته زوجته من ألم المرض تذكّر جوعها وعطشها، تذكّر قوّتها وصبرها وضعفها مضى شريط المنايا عليه حدث بحدث صورة صورة لفّ وجهه ليبكي عليها، ثمّ أعاده وأشار إليها بيده فاقتربت وبجهد مدّ يده لوجهها ومسح دموعها مرّات عدّة وقال لها ما قالته زوجته آنفا قبل وفاتها، فكلماته ما استطاع أن يورثها لها فقط تنهّد وقال:

" ابنتي أنا لن أموت حين ينقطع نفسي أو عندما مرض أو أقتل أو أهاجر يا ابنتي أنا أموت حين أنسى، قد لا أعيش غدا، لكن اذكريني في صلاتك واحييني في قلبك لعلّي أعيش معك أبدا.."

كفلها على أبنائه وقبّل رأسها وتوجّهت الرّوح لخالقها، تتطاير وتتمايل في السّماء لتلتقطها ملائكة الرحمان فتودعها لصاحبها، فانهارت "فرجينيا" على صدره محطّمة تبكي وتنوح وتضع أذنيها على قلبه وتقول:

"انبض يا قلب لا أطيق الدّنيا بلا أبي انبض."

وفجع كلّ من بيدرو وسيليا لبكاء أختهم وتباكوا معها حتى أغمي عليهم وسمعهم كلّ الجيران فإكراما لأبيها دفن قرب المنزل ليبقى ذكرى لها ولهم، وبعد انقضاء الرّبيع لم تتبقّ زهور يقطفها بيدرو ولا زاد يؤكل، فتذكرت فرجينيا وصيّة أبيها فقررت البحث عن عمل في المدينة الغربيّة.

رسالة فرجينيا الأولى

بينما هي تتجوّل وتلقي شعرا وتتمايل بحزن كغصن تتلاعب به رياح الصّيف يرميه من جميع النّواحي إمّا أن يمسكه بلطف أو يشتّته وينثره، تذهب فرجينيا شاردة الذّهن مشتّتة لا تعلم إلى أين يرميها القدر، وكيف يلطف بها النّصيب تسارعت خطواتها مرّة وتباطأت مرّات عدّة لم تعد هاته الحزينة تهرب من نظرات النّاس ولا سخريّة البنات بل لم تعد تبالي اطلاقا بهم ولا بنفسها، ذبلت المسكينة وأصبح قلبها الضّعيف يرى من فوق جسمها وهي تجول وتبحث وتصلّي للرّب راجية أن يكرمها حتّى رآها رجل يدرك جيّدا كيف يختار الأنثى، أعجب بجمالها ووقعها الّذي لا يراه إلّا ذوي نظر حادّ وعميق، لمح فيها تلك الممثّلة الّتي تعطي المسرح حقيقته، فهو مخرج وكاتب سنيمائي يبحث عن شخصيّة تعلوها الحزن تلعب دور الحزين، فسألها عن حالها وماذا تفعل هنا لم تقل شيء لشدّة حيائها وكتمانها سوى أنّها تبحث عن عمل انصدم الرّجل من اقبالها بهاته الكلمة وجرأتها وأسرّ ضحكته بداخله لما أصابه من حظّ هذه المرة، لم يستطع أن يفوّت الفرصة وبسرعة ولباقة في الكلام

عرض عليها التّمثيل وزيّنه لها وعرض أرباحه عليها وما سيقدّمه لها، لم تقبل ورفضت لأنّ الطّلب لم يكن ضمن تقديراتها واحتمالاتها فاجأها بسؤاله وبلطف وحياء وشخصيّة قويّة رفضت دون أن تزيد في الحديث وأكملت طريقها فتتبّعها المنتج بعينيه ولم ييأس فذهب وراءها وقال لها :"انتظري يا بنيّتي."

- قالت: "ماذا تريد؟"

- قال: "الطّلب ليس متاحا للجميع فكري مليا وسأمنحك وقتا طويلا"

بدأ التّردّد يتملكها وفكرت بوصية والدها وكيف ستعين إخوتها، فصل الصّيف ليس ككلّ الفصول، العمل فيه متعب وشاقّ وحرارة المدينة آنذاك شاهدة على قهره "فكيف لي أن اعمل في مثل هذا الجو؟ ولماذا أرفض التمثيل مع العلم أنه ليس متعب ويجني أموال لا بأس بها، في الأساس أنا هدفي المال، فلماذا لا أجرّب، أنا متردّدة كثيرا حسن."

- بابتسامة متصنعة عرفها هو قالت: "قبلت يا عمّ."

لم يصدّق الرّجل ما سمع ودنا إليها فتراجعت خوفا، فهم نفسه فبقي بعيدا عنها - - وقال:" يا بنت الرّيف عملك يبدأ من الغد."

- بحزن كبير على وصفه لها ببنت الرّيف مسكت دموع قلبها وألمها وتحملتها مقابل ضحكات إخوتها وقالت:" حسنا."

عادت "فرجينيا" إلى المنزل قابلتها "سيليا" المحبّة للحلوى تطلب بعض منها وتلح عليها "بأمّي أمّي هل أتيت بالحلوى"

تناديها أمّها لأنّها تربّت على أحضانها منذ فارقت والدتها تحكي لها قصص النّوم وتغنّي لها تهويدتها المفضّلة " نم يا صغيري نم بسلام "

أجابتها "فرجينا" بحنان تقول لها:" سأعطيك غدا أكثر من حبّة اصبري فقط." تراكمت دموع "سيليا"في عينيها وقالت:" لا ... أريدها الآن ."

فحزنت "فرجينيا" وحضنتها بقوّة وقالت لها:" حسن حسن سأعود للمدينة الآن وأحظر لصغيرتي بعضا منها (وبينما هي شاردة في ذهنها تبحث عن حلّ كيف تجلبها لها) حتا دخل "بيدرو" بضحكته المستشرقة يحمل كيسا وقال "لسيليا:" احزري ما يوجد فيه؟"

- قالت الصّغيرة بعفوية وعن حفظ: " أعلم أعلم خبز قديم"
- قال:" لا أعطيك فرصة .... خمّني مرّة أخرى"
- قالت بحزن: "لا أدري."
- فقال: "إنّها حلوتك يا مشاكسة"

فانسلّت الصّغيرة من تحت "فرجينيا" وانطلقت كالسّهم لبيدرو وقالت: " هات هات ما فيه"

- قال: " لا حتّى تقولي لي أحبّك يا أخي"
- قالت: " لا لن أقولها"،

وخطفت الكيس وهربت بالحلوى تجري وتضحك و"بيدرو" وراءها يصرخ: "تعالي يا مخادعة". هنالك اعتلت" فرجينيا" ابتسامة وضحكة خفّفت قليلا عنها وأزاحت الحجرة الّتي في حنجرتها المسبّبة بالبكاء وأزيح عنها حزنها قليلا وذهبت ترتّب فراشهما ببعض الملابس المرقّعة ببعضها، وغطاء ليس بخشن وتذهب هي لتلقي بنفسها على كرسيّها تستقبل ربّها فتأتي بإناء من الماء تغسل يديها لتقيم صلاتها المسائيّة اليهوديّة "تيفيلا"، "فرجينيا" ليست ممّن يحرصون على الدّين فلم تكن تقوم بالصّلوات الثّلاثة كما كان يفعل "دانيال" يصلّي ويشكر ربّه ثلاث مرّات كلّ يوم، لكن حسب ما ينصّ كتابهم المقدّس أنّ المرأة لا حقّ لها في تعلّم تعاليم الدّين كلّه إذ فرض عليها فقط واجب الأسرة والاعتناء بها فكان حظّ النّساء اليهوديات من التّعليم محدودًا، كانت المرأة اليهوديّة تتعلّم كيفيّة القراءة والكتابة وكيفيّة القيام بالأعمال المنزليّة وكانت تتلقّى بعض تعاليم الشّريعة اليهوديّة والتي كانت

ضروريّة في الحياة اليومية، مثل طريقة طبخ طعام "الكوشير" وكل فتيات اليهود يدرسن في منازلهم لأنّ الكنائس والمحافل ترى أنّ الأنثى لعنة ونجسة ولايحقّ لها أداء الصّلاة مع الرّجال، الحدّ الأدنى لإتمام صلاة الجماعة في الدّيانة اليهوديّة هو عشرة ذكور، لا يصح أن تدخل بينهم النّساء ولو تجاوز عددهنّ المئات، فآلمها حكم الرّب وعدله في الدّين حتّى في العبادات فلم تكن تؤدّيها على أكمل وجه لأنّ صعوبته ومشقّته وعدم إنصاف النّساء فيه قد أوقع الشّك في قلبها ثم تقف لتصلّي صلاة المساء المسمّاة في دين اليهود "عربيت" بعد اتمامها تشكر ربّها أتمّ الشّكر وتأوي إلى طاولتها لتكتب رسائلها الّتي لا تنطق بها لأحد ولا تقرّ بها لأي كان سواها، فذاك ما تملكه لإفراغ هموم قلبها تحمل القلم وتدني بالورقة لها وتتنهّد تنهيدة الألم لترتاح نفسها فتغوص في خيالها وتشرد ثوان ثم ترفع القلم ببطئ شديد تكاد أنامل أصابعها تنفلت من يدها خوفا من ثقل الكلمات وتأثيرها فتحكم قبضتها وتكتب أعلى الورقة عنوان الرّسالة.

من فرجينيا إلى ربّ الدّنيا

أنا لست طاهرة لأحكي لك عن نفسي لكن سأكتب على ورق نقي لعلّه يصل إليك لأنّ هاته الورقة قد علمت مسبقا ما يوحي به حدسي، والقلم لن أفلته من يدي حتّى أزيح عن عاتقي حزني متى يا ربّ تنظر إلي وتقضي في حق بؤسي؟ في مدينة الشّقاء وألم فراق والديّ ويتمي وحرماني وأنين أختي؟ قد هشّ جسمي وتآكل من الداخل فلم أعد أقوى أو أصمد، أنا أؤمن بالحياة الأخرى لكن دعائي لا يصلك وأنا منكسرة أدعو ما علّمني به ديني هذا الدّعاء فمبارك أنت يا ربّ الّذي خلقتني بحسب مشيئتك، لكن ما ذنبي وذنب أبي؟ ولم لم تخلقني على الأقل رجل لعلّي أستطيع أن أضع شال كبير حول العنق ثم أقرأ مرتدية ثوباً أسود وقبّعة على رأسي لأعبّر عن الاحترام لنصوص التّوراة أتّجه صوب بيت المقدس، وأحرص على وضع اليدين على الصّدر مع حني الرّأس قليلاً، كوقوف الخادم أمام سيّده لزيادة الاحترام فتقبّل مني دعائي وأسعدني، لكن هيهات لبنت خلقت سببا في نجاسة الرّجل والدين هل أنا خطيئة من الشيطان؟ أم ابتلاء وبلاء، تعبت يا ربّ فهل تسمع لتجيب؟

لم تكمل رسالتها لما أصابها من انكسار شديد وتعب سببه أعمال المنزل فنامت المسكينة على طاولتها الخشبيّة.

فرجينياااا فرجيبين ؟؟ فرجييينيا

متثاقلة العينين تحاول فتحهما مثلها مثل الزّهرة الّتي أسدل ستار الشّمس عن عينيها فأشرقت بنور جمالها لترى "سيليا" أمامها تسألها عن أبيها وهي شبه نائمة،

اندهشت "فرجينيا" من الأمر، وكيف تذكّرته الآن ولماذا هي تحن إليه، أم لاتزال صغيرة لا تعلم أنّ الموتى لا يعودون، بكت "سيليا" وبقيت "فرجينا" جامدة فلم تجد إلّا أن تضمّها لصدرها وتبكي بحرقة معها وقالت في قلبها "ألم يسمعني ربّ الدّنيا بعد؟"

ثم ذهبت لتوقظ "بيدرو" لتجده هو الآخر متوجّها إلى الجدار واقفا يضمّ رجليه واضعا شال أبيه وقبّعته ويقوم بأداء **صلاة** الفجر ويسمّونها صلاة السّحر "شحاريت" أمّا الدّعاء الّذي يتلونه مع إشراقة كل صباح فيحمل بين كلماته زوايا سوداء من حياة نسائهم اليومية، إذ يقول الرّجل: "نم على أذنيها كجمرة أشدّ حرقة وحمرة فتكوي بها فؤادها،"أنا الّتي تكبّدت عناء إخوتي يجازيني ربّي بدعاء يحزنني؟" ثم تستسلم لتعاليم دينها لكيلا تقسوا على نفسها

وإخوتها وتقاليدها فهي المسؤولة من بعد أمّها على توريث هذا الدّين "لسيليا" وأولادها

- "هل أكملت بيدرو ؟"
- "نعم"
- "تقبّل الله منك"
- "آمين"
- "حسن عزيزي سأتركك تعتني بسيليا لأذهب انا أبحث عن عمل."
- "لا لن تذهبي سأعمل أنا وأساعدك."
- "لا أنت المسؤول عن شرف المنزل احفظه فإني سوف أتكفل بالباقي."

ثم تتدخل سيليا لتقول: "لا تنسي الحلوة".

"حسن" وتقبّلها بعناق حارّ وتخرج إلى المدينة الغربيّة مدينة النّبلاء ومدينة الشّقاء بالنّسبة لها.

المسرحية

دخلت "فرجينيا" حجرة المسرح من باب كبير من خشب، بنّيّ اللّون وشامخ، واقفة أمام الباب وتحاول بجهد مدّ يديها لتطرقه لكن تساورها شكوك وتساؤلات عدّة، من وراء الباب يا ترى؟ وكيف يكون التمثيل؟ لماذا أتيت هل أخطأت؟ هاته الحيرة المصحوبة بالتّساؤلات تمسى بالتّردد، لكن ما يعينها على ذلك ويشجّعها هو أمل العائلة المتبقّية لها يجب أن تجد عملا هذا الذي يهمها، وما إن تشجّعت وطرقت الباب حتّى فتحت الممثلة المشهورة "ريتا" وأقبلت عليها بنظراتها تتفحّص هاته الصّغيرة ذات الثّياب الهشّة والنّظرات الثّاقبة، فجمالها غطّى على هيئتها وأنارها، فتمعّنت فيها وقالت لها: "من أنت؟"

- قالت:" أنا فرجينا دعاني رجل إلى هذا المكان للعمل"، ثمّ سكتت "ريتا"

واندهشت من طلاقة كلماتها وصوتها الجيّاش والمتّزن، ثم أعادت النّظر لثيابها ويديها السّمراوتين الّتي اكتسبتا بعض الخشونة فتشقّق جلد يديها

واحمرّ، فقالت لها باستهزاء تريد ذمها:" هل أنت من سكّان الرّيف"، تتلاعب بأصابعها كأنّها نسيت اتّجاه المدينة الشّرقية؟

- قالت "فرجينا" بفخر من أصلها وحزن على عنصريّتهم:" بنعم"
- فضحكت بسخريّة تظهر للعيان وقالت:" ما دورك في المسرح؟"
- فصرخ المنتج موريس بصوت عال:" ريتا ادخلي الضّيف حالا. "
- بتصنّع قالت الأخيرة:" تفضّلي آنستي ادخلي..."

فتح الباب لترى "فرجينا" المنتج مستلقي على أريكته وبجانبه أشخاص يبدون ذا قيمة يلبسون ثيابا جديدة وحديثة فاستحت وسقط رأسها أرضا من الحياء،

فتح موريس يديه وقال:" أهلا بالزّائر، ضيف شرفنا هذا اليوم اقبلي تعالي واجلسي معنا."

دنت "فرجينيا" وقالت بصوت خجول:" متى العمل؟ وكيف أعمل؟ ومتى أنتهي وتكلفتي ووو." .. "فرجينيا" لا تأبه للمسرح ولا تعلم ما هو كلّ ما يجول في ذهنها أن ترى إخوتها بطانا وشبعى وضحكات "سيليا" تعلو المنزل، انفجر الحاضرون يضحكون عليها ويتضاحكون من السّؤال، فقال لها موريس: "اجلسي دعيني أعرفك على أصدقائك في العمل."

سكتت "فرجينا" وأكمل "موريس" حديثه : "هذه" ريتا" الممثّلة الأنيقة، وهذا اسمه "رين" والآخر .... "روكس" .. حتّى أكمل الأسامي كلها وقال لريتا:"اذهبي بها لتغيّر ثيابها وأطلعيها على النّص الخاصّ بها لتحفظه فلا نملك وقتا نضيّعه هياا، المسرحيّة تبدأ في هذا المساء هياا."

ذهبت "ريتا" بفرجينيا توجّهها وتملي عليها ما تفعله ساعات وساعات تحفّظها وتمثّل لها، فذكاء "فرجينيا" وقوّة ذاكرتها لم تجد صعوبة في النص، ولم تبالي بمضمونه هي تنتظر انتهائه والعودة للمنزل فقد طال غيابها وأوشك حلول صلاة المنحة صلاة النهار والقيلولة.

- "بيدرو أخي ".

- "نعم صغيرتي؟ ما الأمر أنا هنا ".

- "متى تأتي فرجين اشتقت لها،"

سؤال "سيليا" نبّهه بمرور الوقت وواجسه خيفة عليها وقلق فقال "لسيليا" يطمئنها بكذب:" الآن تكون في طريقها للمنزل لا تقلقي أعلم أنها جلبت لكي الكثير من الحلوى ."

سعدت سيليا ورجعت لمقعدها تلعب بدميتها الّتي أخاطتها لها "فرجينيا" منذ زمن ثم قام "بيدرو" الملتزم بالدّين بأداء صلاة نصف النّهار وبقي جالسا

يدعي ربّه ليعين أخته وأسرته، هو يحبّ الذّهاب للمعبد لكن بعد المدينة الغربيّة وفقر حاجياته من الملابس يحتّم عليه أداءها في المنزل، لأن أهل المدينة وسكّانها لا يحبون المنطقة الشرقية ويتحفّظون ويولون أهمّية كبيرة للطّهارة.

المشهد الأول: الطّفلة اليتيمة

انطفأت الأنوار وتعالت تصفيقات المتفرّجين في المسرح، وأسدل السّتار تحت عنوان الطّفلة اليتيمة، الحكاية فيها تتحدّث عن طفلة صغيرة تركها والدها وذهب إلى الحرب لخدمة الوطن، في زمنهم زمن الحروب يؤدّي الإعلام دوره في مساندة الجيش معنويا ليعزّز فيهم حبّ التّضحية ويقوي في الأجيال المواطنة والتّضحية، وفرجينيا تمثّل دور الإبنة لكن قد أعادوا أباها الممثل "روسكي" وهو يشارف الموت، كما كان الحال بدأت المسرحيّة والكل أخذ دوره، مثّلت "ريتا" دور الطّبيبة الّتي أجرت فحوصات للمصاب، و"رين" دور الضّابط الّذي أتى بالمحارب أباها، والبقيّة نظّموا مراسم استقبال الجنود، حتى أتت لحظة يمثل فيها "روسكي" دور الأب وهو ينازع من الألم فهو ممثّل متفوّق ويعلم جيّدا كيف يؤدّي مهامه فكان يشارف على الموت لدرجة أنّه أثر في "فرجينيا" تأثيرا حقيقيّا لا يبدو تمثيلا، هنالك سقط ملك الحزن على قلب "بيدرو" كأنّه أحسّ بألم أخته فشدّ على قلبه لعلّه يخفّف ألمه وتذكر صورة "فرجينيا" حزينة وصورة والديه تتراءى أمام عينيه، ضيق الصّدر الذي انتابه هو ضرب من التّخاطر أيّ الإحساس التّام بالأحبّة

ينبع هذا الشّعور من القلب إلى القلب فيخبرنا أن الطّرف الآخر ليس بخير ويحتاجك، فحمل "سيليا" إلى جيرانه وهرع يجري للمدينة ويتنفّس بسرعة، لا أعطى وقتا للرّاحة حتى لحق بالمدينة الشّبه فارغة والرّيح تعصر أشجارها وتصدر صوت الأنين، ظلّ يبحث هنا وهناك ويسأل وهو يعلم أنّ ليس فيهم من يعرف بنت بهذا السّوء، يسارع لكلّ من يجده بعضهم لا يكلّمه ويحتقره والآخر يسبّه ويطرده، والهلع أصابه حتّى أنهكه التعب جلس تحت شجرة يستظلّ بها ويعصر في رأسه بيديه لعلّه يلقى حلّا أو مكان يجد فيه أخته الكبرى قد ضاق صدره ويقول بداخله يسمع أذنيه "خمّن يا بدرو خمّن" فتذكّر مكان بيع الزّهور قال في نفسه يترجّاها لعلّه يجد ضالته هناك لمّا وصل لم يجد أحدا فاستسلم جسدا وقلبه لم يستسلم، حتى سمع أصوات النّاس تتبّع الصّوت راجيا أن يأخذه هو الأخير إلى مراده.

ليأخذ به إلى المسرح فذاك صوت المتفرّجين مذهلين من وقع الحدث، فتسلّل إلى المسرح دون أن يراه أحد لعلّه يجدها تبيع شيئا هناك أو تشاهد أحد المسرحيّات ليدخل ويتجمّد من المنظر الّذي رآه.

بدأت "فرجينيا" تصرخ وتبكي وظهرت صورة والدها أمامها بدل صورة "روكيس" المشهد أثّر فيها لأنّ الإنسان بطبعه يتذكّر الصّور بتذكّر الأحداث

وكلّما رأت كلمات مشابهة لكلمات والدها ازدادت المسكينة بكاءا ونحيبا، حتّى كاد يغمى عليها، تعالت التّصفيقات عليها والهتافات لما قدّمته من عرض مذهل واندهش المخرج موريس وأعجب بها لكن لا أحد يعلم ما يكمن في قلب المسكينة من ألم ولا يعلمون حالها، أخيرا أغمي على "فرجينا" من البكاء والحزن وسادها الصّمت، ثم بكى "بيدرو" وصرخ صرخة دوت في المكان ألما "فرجيييينيااااااا"

وهرع يبكي بين الأدراج ويصرخ:"أختي لا أرجوووكي. "

فتخطّفه منظمو المسرح وأبعدوه ويديه تتوجّهان لأخته ويصرخ "دعوني إنّها أختي دعوووني"

لم يكن يعي أنّها تمثل بل صدّق كلّ شيء كما صدّقت هي، هو بالأحرى الوحيد الّذي أحسّ بألمها حقا.

"فرجينيا" لماذا يا أختي تقسين على نفسك"، أيقض "موريس" "فرجينيا" بفرح وغبطة لما قدمته من عمل، ببطيء شديد وضعف في الذّراعين لا تقوى على الاتّزان تحاول المسكينة الاعتدال لتنهض كما أنّها سارحة في حزنها وتكتم غيظها، "موريس" علم مسبقا أنّها حزينة اختارها لهذا العمل فخبرته في المجال جعلته يميّز شخصيّات النّاس، لا يهمّه أمرهم ولا حزنهم بقدر ما

تهمّه انجازاته. أعطاها"موريس" ضعف الأجر ليكسبها وأصرّ على العمل معها ومدحها كثيرا خوفا من أن يفقد هاته الممثّلة البارعة الّتي أبهرت المتفرّجين، أصابتها الكآبة وأمسكت النّقود ورفضت العمل من جديد لكنّ المخرج أصرّ وأصرّ فقالت "نعم" لتفاديه فقط و"بيدرو" مرمي خارج المسرح يدوس عليه المتفرّجون من كل جانب وهو حزين ينتظر "فرجينيا" حتى خرجت هي الأخيرة ورأته في حالة يرثى لها اندهشت وشلّت في مكانها لم تتحرّك حتّى لمحها فأتاها مسرعا يضمّها ويلمّ شتاتها وقال لها: "تبّا لك يا أختي لقد كرهتك"، وبدأ يضربها لما آلمته وهي تقول له:"آسفة يا بيدرو فهذا عملي، بكيا كثيرا وقال لها بيدرو :"لن تعملي مجدّدا أنا أعمل"، وبطء حديثهما حتى غطاهما الحزن والألم فعادا أدراجهما للمنزل بخطوات ثقيلة وبعد صمت طويل بدأت الأمّ تسأل عن" سيليا" وكلّ خطوة تخطوها تتذكّر أباها فتبكي بحرقة، وتتحسّر وتلقي بنظرها إلى المال فتسعد أصبحت محصورة بين حقيقتها وتمثيلها، أيصبر عليها قلبها أم تستغني عنه؟ اشترت "لسيليا" الحلوى و"لبيدرو" بعض الملابس والأكل وتوجهت لتلقي بسلام على قبر أبيها وتقول: "يا ذكرى الدّار يا ضحيّة الأقدار أهان عليك فراقنا وتترك أولادك الصّغار"، وتبكي ويبكي هو معها حتّى جفّت عيناهما وأتيا

بسيليا إلى المنزل وفي غرفة ضيقة ومظلمة عزل" بيدرو" نفسه فيها يؤدي صلاة المساء "عربيت" وذهبت "فرجينيا" بما تبقّى لها من طاقة إلى حجرتها الّتي هي مخبأها الوحيد وأملها في التّنفيس عن حزنها، تسرع إلى قلمها ومذكّرتها لتكتب رسالتها الثانية

الرسالة الثانية:

من فرجينيا إلى حاكم البلاد

إن كنت أنا بنت الرّيف، شرقيّة الأصل، شريفة النّسب، يهودية الدّين صغيرة السّن، يتيمة الأبوين، أحرم من عيش رغد بسبب حاكم طاغي قد قسّم الشعب لنصفين، أقول لك حتى و إن حرمتنا من العيش والحياة فلا تستطيع أن تحرمني من الخيال والتّعبير، فأنا اليوم على وشك النوم يسامرني خيالي بأنّي يوما ما سأغدو ملاكا ذا جناحين أقحوان يحملان ريشا ناصعا كالبوارح أطوف على مدينتي من كلّ جانب أزرع فيها الحبّ والعطف وأنزع بمخالبي شرار خلقها ثم أهوي عليك أنتزعك من مقعدك بمنقار من حديد أغرسه في قلبك لأخلّص الناس منك أيها الوغد الظّالم هل تظنّ أنّ الإله سيسكت عن أفعالك؟

الرّؤيا

- "نعم جدّتي " الحسناء" ثمّ رأيت قلبي ينتزع منه قطعة لحم سوداء ووضعت بدالها قطعة بيضاء فما رأيك؟"

- "امممم كم عمرك الآن فرجينيا؟"

- "اليوم مضى على موت والدي 5 سنوات، لكن لماذا تسألينني يا جدّتي ظننتك أقرب جارة تعرفنا أم دنا إليك الشّيب والعجز فنسيتنا ؟"

- "أسالك لأنّ عمري طال وحلمك ما جاك إلا لحكمة ولعمرك."

- "كيف ذلك أخبريني يا جدتي لم أفهم. "

- "قبل أن أخبرك حقيقته، عديني أن تبحثي عن إجابة له."

- "حسن أعدك ."

دنت فرجينا إلى الجدة حتّى لامستها بركبتيها والعين لا تفلت عين الآخر لتقول الجدة مع اتّساع لبؤبؤ العين وبسمة تشرق من وجهها: "إنّ الّذي أبدلك القطعة هو ربك."

باندهاش وارتباك تسأل فرجينا جارتها العجوز: "أليس ربّك أيضا؟

- قالت مبتسمة :" بلى ولكن سبلنا مختلفة."

" تولد الحيرة بين الشك واليقين وكثرة السبل"

- "فرجينااا فرجيبين هل أنت هنا ؟؟؟"

قامت الجدّة تفتح الباب لبيدرو ونادت أخته

سلّموا على الجدّة وبعناق حميم دام لثوان تمتمت الجدة "حسناء" بكلمات في أذن فرجين وذهبا الشقيقين للمنزل.

النّداء

صبيحة يوم الإثنين يطرق الباب إحدى ضبّاط الفرقة العسكريّة للمدينة الغربيّة، تفتح سيليا الباب وتمرّر عينيها على الرّجل الضّخم أمامها وترى بشرة بيضاء وعينان زرقاوان ووجه متهجّم تبدو عليه القسوة ثم تمتدّ إليها يده فترجع للوراء وتقول: "من أنت؟؟ وتدخل مسرعة إلى بيدرو لتقف وراءه يتبعها الضّابط عنوة ويحمل معه ظرف بريدي ويقول بصوت عال ويطرق بأسفل قدمه الأرض، إنّها هيبة الجيش يتصرّفون بهاته الطريقة ليثيروا الرّعب والهيبة في نفوس الغير ويقول لبيدروا: "أأنت هاي أنت."

.. يتقدّم بيدرو خطوتين للأمام بارزا صدره وعلامات الغضب تظهر على وجهه، لكنّه يعلم حقّ العلم من الّذي يقف أمامه ويعلم ما سيحلّ به إن عصاه أو تكلّم بسوء، من نشأ في بلد ديكتاتوريّ يعرف جيّدا معنى الظّلم، "ماذا تريد سيدي؟"

- " تفضّل اقرأ .... أنت ملزم بالالتحاق إلى صفوف الجيش غدا"، سمعته "سيليا" ولم تفهم شيء، ذهبت مسرعة لتوقظ "فرجينيا".

خرجت" فرجينا" واضعة شال على رأسها، توجّهت صوب الباب لترى علامات النّظام على قماش الرجل، هنا انتبهت إلى أنّ الأمر فيه خطورة على بيدرو، "ارجعي إلى مكانك فرجين"، "بيدرو اخبرني ماذا يريد الرّجل منك"، " قلت ارجعي"، "تعالي يا سيليا"، أمسكتها أختها من يديها وتوجّهت إلى الغرفة المجاورة بحزن، لكن لم تكتف بذلك وأصرت على معرفة شأن الرّجل في أخيها الوحيد، وضعت أذنها تسترق السّمع من الجدار فسمعته يقول له: "لكن لي عائلة وأنا أتكفّل بها وليس لهم رجل في المنزل غيري أرجوك هل أعطيتني مزيدا من الوقت أو أعتقتني من الأمر."

- "تعصي الدّولة ؟ خذ قلت لك تلتحق غدا يعني غدا و إلّا .."

هنا وضع يده على المسدّس لإخافة الشّاب

- "سيدي أرجوك اترك أخي، أين تريد أخذه؟؟"، تسارعت فرجين لالتقاطها و إرجاعها للغرفة ضحك الضابط بخبث وغادر منزلهما، أخذ بيدرو بدوره استدعائه وهمّ إلى غرفته وكلّه حزن وغضب، لازم مكانه حتى المساء -

"بيدرو ... بيدروووو.."

- "افتح.... افتح ..."

بقيت "فرجين" أمام الباب تحاوله على التّكلم معها " أصعب اختبار للإنسان هو الاختيار بين الطّاعة وبين الرّغبة " يعني أنّ "بيدرو" في هذه الحالة يخاف عصيان الدّولة وذلك ما يسبّب أذى لأسرته، وخوفه الأكبر أن يتركهم لوحدهم وهو المسؤول والرّجل الوحيد في المنزل، لم يستطع التّكلّم وضع كلتا يديه على الباب يخمّن، شعرت به "فرجين" وألقت بنفسها أمام الباب، وتصوّر له كأنّه حائط المبكى فضلّت تدعي ربّها ليعطيها سؤلها...

فيجيبها "بيدرو" لمّا رآها قد يئست واستدارت بظهرها واتّكأت على باب الغرفة حتى أتتها "سيليا" وعانقتها فبقيا على تلك الحال بضع دقائق...

- "أريد أن أسألك فرجين. "

- فرجين بنعم أخي: "أسمعك تفضل قل هيا."

- ".. فرجين هل هذا هو حظّي منكم ونصيبي؟"

- "ماذا تقول يا أخي والدّموع ملأت جفون عينيها؟ لنا فيك نصيب ولك في الدّنيا خير مستقبل فأبشر وقل ماذا يجول في ذهنك؟"

- "سأذهب يا فرجين فهي مجرّد سنة أو سنتين وأعود."

- "لا.. لا تذهب وهيا لنغادر البلد أرجوك هيّا لنهرب مع سيليا، أتذكر حفيد الجدّة حسناء لقد فعل نفس الشّيء وغادر المدينة الغربيّة إلى بلاد أخرى."

- " لكن أباه من تلك البلد وله الحقّ في ذلك"، "نحن أيضا يحقّ لنا ألسنا من بلد واحد. "

- " لا نحن لسنا مثلهم نحن أقلّ شأنا منهم في نظرهم، وحفيدها الآخر وهبته للدّولة لكن بمكانة مرموقة عكس ما سنكون نحن عليه عندهم، فدعيني أذهب فرجين هذا أفضل حلّ وأقلّه ضررا "، تنظر" سيليا" إلى أختها وتسمع تحاورهما ولا تفهم شيء سوى البكاء ورجفة الحزن.

- "تنتظرني الآن صلاتي اذهبي فرجين..."

- "هيا سيليا لأطبخ لك شيء تأكلينه تعالي عانقيني لأحملك."

- "أحبّك أمي"، "حسنا هيّا تعاالي لنأكل شيء، تبسّمي يا مشاغبة وذهبت الأختان إلى المطبخ فأكلتا قليلا، ثم توجّهتا للغرفة واستلقت الأخت بجانب أختها.

- " تصبحين بخير سيليا.."

- "تصبحين بخير أمّي"، أغمضت سيليا عينيها حتّى غفت.

وبقيت الأخرى شاردة الذّهن تفكّر في بيدرو ومصيرهم تفكّر في والديها ....

ثمّ فكّرت في السّرّ الّذي تمتمت به الجدّة" حسناء" وغرقت في تفكير بعيد ثمّ نامت دون أن تدري.

****

على السّاعة السّادسة صباحا، "بيدرو" يصلّي صلاته المعهودة لأنّ في دين اليهود الصّلاة الفرديّة لا يشترط لهم وقت محدد إنّما بعض التّبريك وتلاوة التّوراة لكنّ لإلتزامه الشّديد وحرمانه من الجماعة صار يفعل مثلهم لأنّ الاختلاف في آدائها كبير جدّا، أحضرت له فرجين كلّ ما يحتاجه هذا إن توفّر لها أصلا، فكلّ ما يملكونه في المنزل من حاجيّات قليل، وضعت له كما تضع الأمّ لأبنها المسافر غطاء يقيه من البرد، ملابس دافئة، بعض الخبز الّذي طبختته صباحا له، وقلم وكتاب رسائل، ووضعت كلّ ما تملكه من نقود لكي يستطيع أن يشتري باقي حاجياته، وأقفلت حقيبة السفر ووضعتها أمام الباب تنتظر خروجه من غرفته، ما إن أكمل الصّلاة حتى قال لها:

- "أين سيليا؟

- " مزالت نائمة"

- " حسن"، ذهب ليقبّلها بلطف خشية إيقاظها ولكيلا يحزنها بمغادرته دمعت عيناه وتوجّه مطأطأ الرّأس إلى الباب... حمل الحقيبة وخرج كرجل

حازم وقويّ، أراد أن يظهر لأخته أنّه شجاع وسوف يعتني بنفسه.. مشى بعض الخطوات ... حتّى تثاقلت قدماه ولم يقدر على أن يزد قيد إنش فوضع الحقيبة واستدار ليرى مشهدا طالما أحزنه وفتك قلبه، إنّها دموع "فرجينيا" السّاخنة الّتي تنهدل كالمطر من عينيها، رجع إليها مسرعا كطفل صغير وعانقها يبكي: "لا أريد أن أترككم انا آسف ... ااااسف ااااسف."

ثم انتفض منها وذهب مسرعا حمل الحقيبة وتوجّه إلى المدينة الغربيّة.. ولم تنطق "فرجين" بكلمة فقد صدمت واستسلمت.

- "أين أخي؟؟"
- "ذهب إلى العمل."
- "أي عمل؟"
- "عمل جديد قد بدأه اليوم."
- "إذن سوف يجلب لي الحلوة مساء؟؟"
- "أكيد، تعالي سوف آخذك إلى جارتنا الجدّة "حسناء" لديّ عمل الآن."
- "لماذا لا أريد، أريد أن أبقى معك لنلعب أرجوك."
- "لا سوف تذهبي للجدة، قلت عندي عمل."
- "حسن حسن سوف أخبر أخي مساء بكل شيء."

رحّبت بهم الجدّة كثيرا وفرحت بتواجد سيليا عندها فقد اعتادت عليها كثيرا وصارت كابنتها تطعمها وتدللها تحكي لها القصص وتعلّمها، بالرّغم من كلّ المعاناة الصّغيرة الّتي جعلتها في كبت وصمت كبير، إلّا أنّ الجدّة تعرف جيّدا كيف تحادثها وتخرجها من وحدتها.

المشهد الثاني:

عنوان مسرحيتنا اليوم هو "أصابك عشق

- "ذا أنت يا فرجين اخترتك لأداء دور العشيقة والعشيق يقوم بدوره ممثلنا الشّهير لويس"
- "لماذا اخترتها موريس ألست أنا من أقوم بدور البطل كلّ مرة؟ وتستبدلني بهاته"، تقول"ريتا" بهذا الأسلوب ومشيرة بيدها إلى فرجين مستهزئة بها.
- "ريتا أنا أحتاج في القصّة لفتاة شابّة وصغيرة، وكما تعلمين فرجين أصبح لديها شعبية كبيرة اكتسبتها من آخر مسرحية لها."
- "كم سأتقاضى من هذا العمل الجديد؟ ومتى نباشر في حفظ النص؟"

هنا نظر "موريس" إلى "فرجين" وصمت الجميع

هو يعرف حقّ المعرفة أنّ هدف فرجين الوحيد من هذا العمل لم يكن الشّهرة ولا المنصب بل المال فقط، ولأجل من؟ لأجل "سيليا" فقط..

دخل الجميع إلى غرفة التّحضير وتلقّى كلّ منهم جزأه من ورقة الحفظ وأصبحوا يحفظون ويجربون لتترسّخ الحكاية في أذهانهم، لكن لخبرة

"موريس" أعطى لهم بعض الحرّية في الأحاسيس، أي يقولون ما يشاءون في بعض المواقف لتبدو المسرحية أقرب إلى الحقيقة بشكل كبير.

****

يأتي الشّاب الأنيق "لويس" بلباس عصريّ جميل ذو النّوع الكلاسيكي ليقابل فرجين الّتي لبست فستانا أبهر كل الحاضرين، كلّ شيء ترتديه المسكينة يزيد من جمالها، "فموريس" اختارها لقوامها الحسن ووجها الجميل.

هذه المسرحيّة جذبت العديد من المتفرّجين ولم يحظ موريس بهذا التّفاعل الضّخم من قبل هنا اكتظّت الصّالة بالنّاس، والكلّ منبهر بجمال الفتاة والباقي يعرفون أداءها الجيّد، فقد لاقت ترحيبا سارّا من الجمهور وأصبحت ذات سمعة في البلد الغربي، لكن تظلّ "فرجين" محصورة في التّيه والحزن شاردة، فقد أقسرها الجوع وكسرها حتى صارت لا تبالي إلّا بالمال، تقاعست حتى في تأدية واجباتها الدّينية من صعوبة الحياة، وكلّ ما تخشاه هو فقدان "سيليا" بعد "بيدرو"، ملتصقة بفكرها في ماذا سيحلّ بأخيها الوحيد، ماذا

سيأكل وكيف سوف يعامل، وتخاف أن يضغطوا عليه ويعاملونه بقسوة لأنّه من سكّان الرّيف.

"يا زهرة الأوركيد أنا شاعرك الوحيد، والحبّ فيك لم يعد يشفي غليلي، والحدس في قلبي صار دليلي، هو من يشدّني إليك وويحارب قلبي إن أراد رحيلي، يا زهرة الأوركيد لن أكتب اليوم لك شعرا عموديّا كما اعتدتي، ولن تكفيك القوافي ما دمت أحكي، وأكتب عنك، أنت النّص بلا فاصلة، لا تشبهي أحدا أنت الفاصلة أنت الحاصلة على قلبي والواصلة، أنت الفريدة أنت الإبرة الّتي وجدت في كومة القش، أنت البدر أنت العزيزة، يا زهرة الأوركيد كل يوم أراك فيه بالنسبة لي يوم عيد، لن أعيد مشاعر أو ماض فيك، أنت يوم جديد"

ويلقي أشعارا في الغزل ويمدّ يده ليلامس يد فرجين فتزيحها عنه

"ما بها ألم تحفظ النّص تلك المغرورة الدنيئة.؟"

هكذا تقول ريتا على المسرح، أعلم أعلم تريد إفساد المشهد الأخير من القصّة.

- "هاي فرجين أمسكيه هيا"، بصوت خافت يقول "موريس" لها أمسكيه

"فرجين" لم تعتد على ذلك وتراه أمر معقّد بالنّسبة لها وليس من شيمها أن تفعل ذلك فتنحّت من عنده بسرعة وتولّت للوراء بخطوتين وبقت صامتة مدة من الزمن...

المتفرّجون لم يفهموا شيء، بدأت بينهم تمتمة واستياء وحيرة، بعد ذلك تقدّم إليها مجدّدا "لويس" محاولا مساعدتها لعلّها ربّما نست النّص، فقال هو أيضا: "امسكي يدي تعالي" فتراجعت أيضا بخطوة للوراء ....

هنا تذكّر الخطّة البديلة أي الحرّية في الكلام لملأ الثّغرة فقال: " ... حبيبتي أعلم أنّك غاضبة منّي وحزينة لأنّي غبت عليك طويلا ولم أراعي مشاعرك أنا آسف، " لكن من لم يزده البعد حبا لم يحب حقا" فسامحيني أرجوك ...

دنت إليه فرجين بخطوة ونظراتها الحادّة نحوه، اندهش "موريس" وأعجب الحضور بردّة الفعل قالت للويس: "متى أحببتك أنا؟ ومن أنت لتحاول إمساك يدي؟ إنّ لي في قلبي عائلتي فقط، بيدرو سيليا ... ثمّ تأتي أنت الأخير لتخبرني عن تفاهة حبك وكأنّي أحد أقاربك."

اندهش "لويس" ولم يفهم شيء وحاول التّحدث معها تقرّب إليها، فصرخت والدّموع شلّال من عينيها "قلت ابتعد أنا لا أحبّك ابتعد، وبدأت تبكي وسقطت على ركبتيها تبكي وتقول ابتعد، ابتعدوا عني..."

حزن المتفرّجون كثيرا على المسكينة ورأفوا بها، لمّا رأى موريس الأمر تغيّر لهذه الدّرجة الكبيرة أسدل السّتار وأعلن انتهاء الجزء الأول من الحكاية، فهذه الفكرة حظرته لخبرته الكبيرة في الميدان....

أوّل مرة يحزن "موريس" على "فرجين" ويفرح لأدائها الّذي لم يفهم فيه شيء ولم يتوقّعه أبدا، صفّق الجمهور وتوجّه الطّاقم إلى غرفة التّحضير والكلّ يسقط اتّهامات وكلمات مسيئة إلى "فرجين"، أسكتهم" موريس" وقال: "لقد نجح العمل لا بأس سوف نتدارك الأمر في الجزء الثاني ..."

أخذت "فرجين" مالها واشترت حاجيات المنزل وحلوى "لسيليا" وأخذتها من عند الجدّة، فالأخيرة لمّا رأت حزنها لم تسألها ولم ترد الضّغط عليها. عانقت صغيرتها وتوجّهت إلى غرفتها تكتب رسالتها الأولى لبيدرو.

"الى بيدرو"

أخي "بيدرو" .. أعلم أنّي لست أكثر من إنسانة نكديّة تثير المتاعب.. وتختلط بالحزن والأسى، أنا أصبحت يا أخي مزاجيّة جدّا .. حينا أضحك بلا سبب وحينا أبكي كثيرا ولا أشكو من علّة، وأحيانا كثيرة أطلبك ولا أريد منك سوى المكوث عند عتبة بابنا دون عمل .. دون أكل ولا بأس في ذلك...

أُنْجُو من لعنتي، ولعلّك تؤنسني وتواسيني في أيّام ضعفي.. لم يعد عقلي يقوى على ذلك، لا أريد أن تنغم لأجلي أو أراسلك لتحزن.. وتقلق علي، أنت تعرف أختك وقوّتها أنت الوحيد الّذي تحسّ بضعفها وهونها، فقد عانت الأخت وانكسرت وصارت بين الخفق والنّبض تعيش دهرا من الجنون والتّيه، فلست أقل من جنّية كل من يطيل النّظر إلى عينيها تصيبه لعنة البؤس .. لعنة التّيه .. لعنة الأرق .. فلا تهتم ..

ذنبي هو الشّيء الّذي لم يكن خياري... بلدي ... فقري .... ديني... قبل أن آوي لفراشي أستحي من نفسي ثم لا يكن تَرَجّلِي إلّا في بُرَاقِ الورق .. أستبيح قلوب المقرّبين منّي .. أتلذّذ بهتك أدمعهم وأحوّل كل ساحات الأمان إلى وغًا فيها كل أنواع الضّحايا .. حروف وأوراق ولا يهمّني أبدا إن كان محبّا

لي أو مساعدا .. ليتك تفهم رمزيّتي في الحديث، ذاك الشّعور الّذي جعل منّي مجرمة لا تكفّ عن استدراج ضحاياها للموت في باحات الفقر .. لأقدّمها قرابينا للشّيطان الّذي يسكنني لتتبارك كتاباتي بالمجون .. بالجنون .. ذاك الّذي يجعل منّي قدّيسة في عالم الكتابة .. لهذا لا تبالي بي إنّي أترجّاك.

أخي تركت لك أحبّ ما أملك في الحقيبة وهي بعض الأوراق والأقلام، اكتب لي، دعني أشمّ ريحة أحرفك دعني أحسّ بالعائلة، طمئنّي عنك، قل لي أنّك تنام جيّدا، ويعطونك خبزا أبيض نقيّ، قل لي أنّهم يكثرون لك الجبن الّذي تحبّه، و إنّك أقوى منهم وأصلب، قل لي يا أخي أنّك مرتاح وقلبك مطمئن، فسيليا أصبحت تناديك كل يوم في حلمها وتنتظر منك حلوتها قل لي أنّك لن تطيل الغياب وسوف تأتي إلينا بعد أيّام قليلة، لقد انتهت صفحتي، أحبّك أخي ..

من بيدرو إلى فرجين

كنت قد أرسلت لك عدّة رسائل وأظنّها لم تصلك، لقد علمت ذلك من تصرّف جنود المنطقة، لا يهم ... هاته الرّسالة يحملها صديق لي تعرّفت به أصله من المنطقة الشرقيّة ومجنّد عندهم من العام الماضي، يعمل في مكتب الرّسائل، وقد رأى منكرا في تصرّفات الجنود ثمّ ذكر الجدة فقد كان لها فضل عليه أيضا فيما مضى وأخبرني أن أبلّغه سلاما منه وأبدى حبّه الشديد لها، وقال لها سلام عليك من إبنك إدريس، أكتب لك هكذا لتعلمي أنّني بخير ولي شيء من رائحة الأهل هنا أشمّها من بيدرو .....

فرجين لا تقلقي عليّ فما عشناه هنالك أعطانا من الألم والصبر ما يكفينا دهرا، تلقّيت رسالتك وقلبي ينزف دمّا لعجزي على القدوم إليكم، لا أستطيع أن أكتب كثيرا فأنا مرتبك بعض الشيء، أرسلت في هذا الظّرف قليلا من المال لسيليا ولك، كل ما أريده منك الدّعاء وأن لا تتخلّفي عن صلواتك فالرّب ما تبقّى لنا ....

قرأت "فرجين" الرّسالة بتدبّر وتمعن تتقفّى كل كلمة من "بيدرو" وتبحث فيها وتشمّ أوراقها وتضمّها، هذا هو الحنين المفرط الّذي يقود إلى اضطرابات

نفسيّة وينتج عنها خوف شديد ورهبة لا تفارق صاحبها حتّى يفنى، فهي نوع من العقد النّفسية الّتي تباشر الإنسان وتهتك عقله رويدا رويدا حتى لا يصبح يدرك ما يقول وما يفعل...

- "جدّتي افتحي لي الباب ... خبر لك جميل يفرح قلبك وينير بهجتك علينا
- "تفضّلي فرجين ادخلي."
- "أهلا كيف حالك ؟"
- "الجدة: بخير وأنت صغيرتي؟ وأين سيليا لماذا لم تأت بها معك؟"
- "آسفة لقد تركتها تغطّ في نوم عميق والخبر الجميل جعلني آتي إليك مسرعة أوصله لك."
- "ابشري ماذا ورائك؟"
- "أرسل بيدرو رسالة أخيرا وهو يسلّم عليك."
- "الحمد لله هل هو بخير."

أوأمت "فرجين" برأسها وقالت نعم، لكن يا جدّة هنالك أيضا من ترك سلاما لك.

- "من ؟"
- "قال اسمه ادريس وألقى عليك السّلام ".

- "اتّسع بؤبؤ عين الجدّة فرحا وضمّت فرجين وقالت أأدريس حقا؟ اشتقت له الحمد لله ".

- "لم تخبريني عنه يا جدتي من يكون إدريس هذا ؟ لم ألحظ في قريتنا اسما كهذا من قبل ..."

- "إنّه شاب طيّب من أسرة محترمة سأخبرك عنه يوما ما اذهبي الآن وتفقدي سيليا ".

- "حسن سوف آتي بها إليك وأذهب للعمل بدوري أيضا فلي بعض الأشغال أريد أن أنهيها."

****

الإنذار

خرجت "فرجين" إلى العمل بعدما تركت "سيليا" عند الجدّة متّجهة إلى موريس تقول في نفسها "لن أعمل بعد الآن اكتفيت من التّمثيل والكذب على نفسي لم أعد أحتمل مزيدا من التّطبع والتّصنّع لا يقوى قلبي ولا عقلي على ذلك لا أريد مالا يأتيني هكذا لم أخلق للتمثيل. "

وما إن وصلت "فرجين" إلى المسرح حتّى سمعت دوي صاخب وهول كبير أصاب النّاس ودخّان وسط المدينة، والكل فارّ ويصرخ ويقول الحقوا الحقوا، انجوا بأنفسكم نحن نتعرّض للهجوم "الزلزال المفاجئ مع الدّخان المتصاعد سببه النّار الطّائرة وهي برميل معبّأ بالبارود كان يستعمل في الحروب على أنّه أشدّ الأسلحة دمارا .

- " ألست فرجيين؟ "-
- "نعم موريس ماذا يحصل؟"
- "تعالي معنا أسرعي ولا تطيلي لا وقت لدينا."
- "لا، سأذهب أختي سيليا تركتها هناك."
- "تعاالي قلت تعالي."

- "ريتا ريتا .. أدركي فرجينيا واجلبيها المكان خطير."

أمسكتها "ريتا" تجرّها من يديها حتّى صعدت بها القطار .

"لنرجع للوراء قليلا عندما تبدأ الحرب في المنطقة الغربيّة يصدر إنذار لكلّ المواطنين باللّجوء إلى القطار في الحالة الحرجة القصوى لكي تنقذ شعبها ولا يعيقها في الدّفاع عن المدينة من العدوّ، وكانت فرجين الّتي لا تفهم شيء في هذا من ضمنهم وسار بهم القطار وفرجين تصرخ "انزلوني انتظر ...لديّ أخت تركتها خلفي"، لكن لا جدوى فلا أحد يسمعك في الضّجيج ولو كنت أمامه، وهكذا بقيت" فرجين" تصرخ وتحاول المرور والخروج ولو أمكنها القفز لقفزت، حتّى يئست واختلطت بين النّاس وخارت قواها ...هذا ما أصاب المسكينة ففي مثل هذا الوقت قطعا لا تدرك البنت ما تفعل...

****

سمعت الجدّة في المدينة الشرقيّة طرقا على الباب تعرفه حقّ المعرفة اقشعرّ بدنها منه، فأسرعت إلى الباب لترى حبيبها ولدها أحمد فاتحا يديه إليها يعانقها ويقبل يديها ورأسها والفرحة تغمره، فعجّلت بدخوله حافلة به وسعيدة

بقدومه، يذهب معها شوقه وشوقها بالحديث ويسرق بنظراته كل جزء من المنزل ليملأ عينيه بما فقده ويسترجع ذكرياته الجميلة، يمرّر يديه على الأفرشة وعلى الجدار ويحاول لمس كلّ شيء لتختلط ريحه بريح المنزل والجدّة تسأل عن حاله وتتبعه لأن جلسا الإثنين ... "كيف حال الجيش هل أساءوا إلى ولدي؟ هل أكل ونام وارتاح؟؟ كيف حال أصدقائك؟؟ وهل تعرفت على جدد؟؟"، هنالك تذكّر "أحمد "صديقه المقرّب" بيدرو" فبدى على وجهه الحزن رأت ذلك الجدّة فضاق صدرها وأوجست خيفة مما ستسمعه فقالت: "ما بك أرى بهجتك انقشعت"، قال: "نعم يا أمي فقد صادفت شابّا يعود لهاته الديار وأحزنني حاله وعيشه المضني"، قالت:" من هنا؟؟"، قال:" نعم كان يدعى بيدرو.."، شدّت "أحمد" بكلتا يديها وأغلقت فمه خشية أن تسمعه "سيليا" وقالت: "أين هو أعاد معك؟" فهم "أحمد" أن يكتم صوته وقال: "بصوت خفيف لا ولن يعود."، قالت:" أقصر وأوضح."، قال: "أظنّه درج، بل متأكّد بأنّه لن ينجو."،" لماذا اكمل واشرح الأمر يا بني" ... قال: "لقد أوكل له مع باقي المستشرقين بأن يكونوا في أوّل دفعة في الحرب ولم نر أحدا قد نجا من قبل في هاته المهام."، قالت الجدة:" لا حول ولا قوّة إلّا بالله." قال: "اطمئني فأعهده شهيدا." قالت: "بل كان يهوديّا، قال متبسما:"

أماه لقد أسلم بيدرو وصار اسمه زكرياء." فرحت الجدّة كثيرا وحزنت على حال أخته "سيليا" وقالت: "أخته الصّغيرة هنا الحمد لله"،" إذن أين المدعوّة "فرجين"؟"، قالت الجدّة:" لا أعلم منذ بداية الحرب لم نراها أظنّها ممّن غادرو المدينة وهي في المدينة المجاورة."، "ماذا؟؟؟ سأذهب يا أمي لأجدها فهي وصيّة صديقي زكرياء وقد وعدته بالتّكفل بهنّ." ترك "أحمد" بعض الرّسائل الّتي لم تصل "لفرجين" عند الجدّة وحمل صورتها وتوجّه إلى محطّة القطار متّجها نحو المدينة فقد بدأت الأوضاع تهدأ فقرّر أن ينتظر رجوعها وبقي هنالك يشاهد كلّ النّازيلين من القطار ويتفقّد وينظر إلى الصورة ويميّز بينهم وظلّ على هاته الحال أسابيع حتّى فقد الأمل برجوعها فقرّر حتما أن يسافر إليها حمل أغراضه واستودع الجدّة وذهب.

****

لمّا وصل القطار للمدينة المجاورة ذهب كلّ شخص منه عند صديق أو عائلة له هنالك وكالعادة أهل المدينة معتادون على استقطاب اللاجئين واحتوائهم ومساندتهم رغما أنّهم ليس بنفس ديانة بلد "فرجين"، لكن بقيت فرجين ملقاة

على قارعة الطّريق لا تدري من حملها ووضعها هناك ولا كيف وصلت على حافّة الطّريق يمرّ عليها النّاس يقذفونها بأبصارهم المملوءة بالشّفقة ويتساءلون من هي وما بها، ومعظمهم يراها منعدمة كسائر أحوال الفقراء فيترك بعض المال أو الخبز بجانبها ويمضي، الشّرود الذي أصابها جرّاء الصّدمة يبقي عينيها مفتوحتين كأنّها ترى كل ما يجري من حولها ولكنّها مغشّاة بالكامل وبقيت على ذلك الحال حتّى تعامدت الشّمس مع الأرض واشتدت حرارة المكان ... جسدها تلقائيا حرّكها دون أن تقف إلى حائط تتّكئ عليه بظهرها وبقت هكذا حتّى غشّاها النّعاس ونامت على الطّريق، بعد سويعات قليلة مرّت جلس بجانبها عازف كمان شيخ كبير جعل هذا مكان له لإظهار موهبته ومكسب له يعيل نفسه به لم يبالي بفرجين وهي مستلقية على الأرض نائمة وبدأ بالعزف يتلاعب بآلة الكمان كأنّها جزء منه يصدر أنغاما حزينة حسب الجوّ الّذي يعيشه البلد، حتى وجد دون أن يدرك فرجين تقف أمامه وتسلّط نظراتها الحزينة على وجهه تبدو له أنّها مركّزة معه ومتأثّرة به، لمح حزنها وأحسّ بكلّ ما مرت به من ألم ومعاناة مرسومة في عينيها وما كان عليه إلّا أن يزيد من ريتم العزف، حتّى حوّله لقصّة حزينة يكاد المار يرى صور لغنائه، طار عقل فرجين وانسخلت روحها منها مغادرة

جسدها الهش، تبحث عن السعادة وتتراقص على أنغام الحزن وتترنّح يمينا وشمالا كالسّكران في سكرته الأولى وأين السّعادة، "يا شيخ لا تتوقف وزد الإيقاع واذهب عنّي حزني يا شيخ اكمل فأنا في مكان لا أريد النزول منه، ما كلّ هذا الهدوء من حولي لا أسمع سوى نبضات قلب العجوز وهو يعزف أنا في عالمي الخاص وهذا العازف مخلّصي ومنقذي من الكآبة اعزف اعزف اعزف"، وصرخت" فرجين" صرخة أسمعت كل الحضور الذين لم تنتبه لوجودهم ظنّت أنّها لوحدها وأنّها هادئة فهي لم تكن تشعر بشيء سوى غناء العجوز، نظر إليها وأوقف الكمان خوفا فرأى جفون عينيها تملؤها الدموع والدّماء والنّاس من حولها أرعبوا وخافوا لما شاهدوها - "كانت تبكي حزنا وأنا ظننت أنّها حقّا سعدت بغنائي"، وحمل كمانه وغادر وأصيبت فرجين بالجنون .

****

“إن كان جوعا هذا الذي ينخر بطني فلا أبالي ولو مزّقها، لقد شهدت أكثر منه في صغري، وإن كان هذا البرد الذي يكسر ظهري ويعيق حركتي فلا أبالي فقد عانيت الأمّرين من قبل وتخطيتهما، لكن لم لا أقوى على النّهوض؟ أرى أشياء تحول بيني وبين النّاس كغمامة سوداء وغربان تحوم حول رأسي وعقلي ليس كما عهدته، أريد شيء وهو يريد شيء، أريد أن أصرخ وأبكي ووجهي يضحك، ولماذا اللّعاب يسيل من فمي؟ ولا أستطيع غلقه، وأين صاحب المزمار وصاحب الكمان الذي أسعدني؟”

“لحظة أين أنا ومن أنا؟ هل نسيت حقّا من أكون؟؟”

“أين عائلتي وكيف لي أن أنام في هذا المكان المقزّز. “

“لكني مرتاحة نوعا ما فقط ابتعدواا.”

- “جواد مابال هذه الفتاة تصرخ؟ المسكينة تبدو متشرّدة أو مجنونة على ما أظن

لكنّي لم أرها من قبل هنا هل رأيتها أنت؟”

- “لا يا عزيزتي هذه أوّل مرّة أراها، أنا أذهب للعمل كلّ يوم من هذا الطّريق اعطها بعض المال يا جواد أرجوك صدقة لعلها تنجينا يوم البعث.”

- “تفضلي صغيرتي.”

صرخت فرجين ثانية لمّا مدّ يديه عليها ولا عجب فقد أصبحت تخاف كلّ شيء ويصوّر لها أنّ كلّ النّاس سوف تؤذيها وبكت.

تأثّرت زوجة جواد وبدأت تتقرب لفرجين خطوة خطوة حتى صارت بقربها ونزلت على ركبتيها لكيلا تنفر الصّغيرة منها وقالت: "أنا مثل أمّك لا تخافي وهذا مثل أبيك."

نظرت "فرجين" لها وقالت: "أمّي ماتت وأبي كذلك"، وكأنّ تأثير الكلمة أعاد إليها عقلها لثوان.

حزنت زوجة جواد ودون أن تشعر ضمّت فرجين لصدرها وعانقتها عناق الأم لإبنتها، وظلّت فرجين تحتها تبكي حتّى خارت قواها ونامت مثل الطّفل البريء نامت المسكينة كما ينام الجنين في بطن أمه، فهذا يعرف باسم الضّوضاء البيضاء إذ أنّه يغفو تحت صخب مألوف له في بطن أمه ويبقى كذلك حتّى يولد فلا ينام إلّا على صوت شبيه لما عهده أو بحضن حنين يؤنسه، هنالك أصرّت على أخدها معها وحملاها معا للمنزل.

****

الشعور الحقيقي

- أتعرف هذه؟؟ هل شاهدتها من قبل؟؟
- لا :
- من فضلك انتظر ... هل شاهدت بنت بهذه المواصفات؟
- لا آسف لا أعرفها
- هاي أنتم هل رأيتم بالجوار بنت كهذه؟؟
- امم دعنا نرى لا لم نرها

ظل هكذا "أحمد" يسأل النّاس حتّى مضى يوم كله ولم يجدها

ثمّ مكث في نزل وبعد صلاة الفجر تماما دعى ربّه أن يعينه على إيجاد الفتاة ويؤدّي أمانته إلى الجدّة

خرج كالعادة مسرعا ويجول بناظريه يمينا وشمالا ويسأل النّاس ولا أحد يعرف أين هي، حتّى قضى الله أن يمكث بجانب صاح المزمار واضعا قبّعة على الأرض ولكن لا يغنّي شيئا ولا يعزف

وضع "أحمد" قطعة نقديّة فيها عسى أن تكون صدقته تجلب له قدرا وتفرّج عنه كربا

- فقال: "الشّيخ شكرا يا ولدي أتريد أن أعزف لك شيء؟"
- قال أحمد: "ولم؟"
- قال: "لأجل مالك وصدقتك
- قال أحمد: "إنّما هي لله ولا أبتغي منك شيئا
- تنهّد العازف وقال:" أنت مسلم إذن؟
- قال:" نعم وأنت؟"، قال:" أنا مسيحي
- لم يرد "أحمد" الخوض معه في نقاش عن الدّين لعجلته وقال:" لا بأس بذلك أنا ذاهب .
- ثمّ ذهب أحمد وهو محتار في أمره ولا يعلم أين يجد الفتاة فعزم أن يذهب لقرية أخرى يكمل بحثه ثمّ عاد للنّزل
- وفي الرّجعة رأى نفس الرّجل مقيم عند الرّصيف بحالته ولازالت نفس القطعة النّقدية في قبّعته فتوقّف عنده وقال
- سلام عليكم -
- أهلا بك ولدي -
- يا عماه أتريد شيء آخر؟ خبزا يواري جوعك او ملبسا دافئا؟
- قال العازف لا فقط إذا عندك ماء تفضل به

- قال أحمد:" ليس عندي لكن سآتيك به
- ثمّ ذهب أحمد وأحضر له قنينة ماء وأعطاها له
- قال:" شكرا وشرب منها حتى ارتوى وقال:" ما أقدمك على هذا
- قال أحمد:" ديني يأمرني بالرحمة والصّدقة
- قال العم:" أنا إذا عزفت لقيت من أعطى نقودا ولكن ذهبت منّي قدرتي فلم أحصل على قرش سوى ما أعطيتني
- قال أحمد:" إنها صدقة يا عم نجازى بها عند الله ولا تنقص منّا شيء
- قال العم:" سمعت عن دينكم وكذّبت، لكن صدّقت ما رأيت
- ابتسم أحمد وقال:" إن ديننا ودينكم لا يختلف كثيرا إنّما فقط بعد كتابكم جاء كتابنا فمنهم من آمن ومنهم من بقي على عهد آبائه بعد تحريفه
- غيّر العم الحديث قائلا:" أنت غريب عن البلد؟
- نعم وصلت قبل ثلاث أيام فقط
- هل أنت تائه أو ما شابه تبدو مهموهما كئيبا
- نعم لقد أضعنا أخت لنا هنا وبحكمة أخرج صورة الفتاة وأراها للعم فعرفها لما تركه فيها من أثر الغناء

- فقال:" أعرفها أتبحث عنها؟
- انتفض أحمد وقال أخبرني يا عم أرجوك أين هيّا أين ذهبت متى كانت هنا
- قال العم:" لا تقلق فقد أخذها أهلها
- أهلها؟؟
- نعم رجلان أتيا هنا وجداها مستلقية بجانبي
- أين أخذاها؟؟

وجّه العم أحمد إلى المنزل وأراه الطريق لكن علم أنّه لا يعرف كثيرا فقرّر الذّهاب معه لإرشاده

****

توجّه العازف مع أحمد إلى مكان تواجد فرجين ودار بينهما حديث طويل كان كالآتي:

- "أتعلم يا صغير معنى الفن؟"

- قال أحمد: "نعم أعلم ولكن حدّثني أنت عنه."

تنهّد العازف وبعزّ قال:" الفن هو القدرة على إيصال الإحساس بصورته الحقيقيّة للغير فيؤثّر فيه ويجعله يشعر بما يشعر به المرسل سواء عن طريق الغناء أو رسم، عند إتقان هذه المهارة سوف تصبح فنّانا راقيا

- قال أحمد: "وماذا تريد أن توصل بعزفك للناس؟"

- قال العازف: "شعوري أكيد."

- قال أحمد: "ما هو شعورك؟ كيف يكون؟"

- "حسب حالتي يا صديقي إذا كنت سعيدا أعزف سعادة و إذا كنت حزينا أرسل حزني."

- "وماذا تأخذ من ذلك؟ أي ماذا تستفيد أنت؟"

- "إحساس الآخرين بي والشّعور بقلبي أو مشاركة الناس حزنهم وفرحهم

- " ويسعدك ذلك؟"

- "نعم."

- "وكيف رأيت فرجين؟"

- "من هي؟"

- "البنت الّتي نبحث عنها."

- "اه تلك الحزينة لقد ظهر حزنها في وجهها كأنّه الظّلمة والقهر."

- "عزفت لها؟"

- "نعم أكيد وعزفت حتّى رأيت جفون عينيها يحكيان شلّالا من البؤس وبكت وتألّمت حتّى انصرعت أرضا."

- "ماذا جنيت؟"

- "أهي بخير؟"

- "لا"

- إذن أين الفن؟ ألم تقل أنّك تسعد النّاس؟"

أصيب العازف بحزن وقال: "لكني حاولت الشّعور بها"

- "هذا دور الإله الّذي يبدع في شفاء القلوب وطمأنينتها."

- "الإله؟"

- "نعم أليس عندك رب تعبده؟"

- "نعم ولكن عن ماذا تتحدّث يا صديقي أي دين تقصد؟"

- "هل تعرف شيئا عن القرآن الكريم؟"

- "سمعت عنه من اللاّجئين فقط."

- "قراته؟"

- "لا أكيد فلست مسلما"

- "إذن أنت لم تعرف شيء عن حلاوة الكلمات ولم تذق حقّا معنى الإحساس."

- "لي من العمر ما يقارب السّتين وكلّها فن وعزف يا أخي."

- "رغم ذلك يا عم."

- "كيف لكم أنتم المسلمين أن تثقوا كل هاته الثّقة بإيمانكم فوالله ما رأيت أناسا يعتزّون بدينهم كما تفعلون فما هو السر؟"

- "السّر يا عمّاه يكمن هنا "، وأشار لقلب العازف بإصبعه ثم وضع راحة يديه على قلبه وقال:" هذا الشّيء إن صدق وآمن يعرف الحقّ ولا يحيد عنه ألم تقل أن الإحساس أهم شيئ ؟"

- "نعم"

- "ومن يستطيع إيصال الإحساس إلى الغير أكثر أنت أم الإله؟"

- "الإله طبعا."

- "إذن ما رأيك أن أتلوا عليك بضع آيات من كتاب الله وتمعّن فيهم عسى أن يلين ربّي قلبك فتشعر بما نشعر نحن المسلمين."

- "اقرأ يا صديقي هات ما لديك فأنا فنان وأحبّ سماع كل شيء بكلّ أنواعه فهذا شغفي في الحياة."

توقّف "أحمد" ونظر للسّماء وقال:" ربّي ألهمني ماذا أقرا عليه "، وأغمض عينيه هنيهة ثمّ قال:" بسم الله الرحمن الرحيم" وقف العازف مذهولا من قوّة الجملة وكيف قالها أحمد بخشوع ونور في الوجه

"انتظر أحمد ذاك منزل فرجين وصلنا وها هو ذلك الرّجل أمام منزله جالس."

ذهب العازف يركض نحوه وترك أحمد لم يكمل ما أراد البوح به.

- "انتظر يا عم .. ذهب خلفه أحمد يجري

- "قال العازف للرّجل مرحبا كيف حالك؟"

- "اا عازف الطّريق صح؟"

- "نعم هو و إنّنا في أمر طارئ."

- "خيرا"

- "لندخل ونتكلّم"

دخل أحمد والعازف وجواد

جلسا في بيت معيشة وقال العازف: "أنصت يا أخ جواد هذا الرّجل اسمه أحمد وهو من المنطقة الشرقيّة، إذ أنّه بعد الحرب فقد أخته وها هو ذا يبحث عنها، ورأيتكم أخذتموها معكم في ذلك اليوم فهلا أعطيتموها لنا من فضلكم فأنا متأكد من أنها نفس البنت في الصّورة، ها هي الصورة انظري.."

- "نعم إنّها المدعوّة فرجينا لكن المسكينة أصيبت بالجنون من يومها ولا أظنّها تقوى على النّهوض لأريكم اياها.."

اندهش أحمد ووكز في قلبه من الكلمة وقال: "مجنونة؟"

- "نعم ووضعناها من ذلك اليوم في مكان مخصص لا نقدّم لها سوى الطّعام وهي لا تأكل وتأبى إلّا أن تنام فقط."

نادى "جواد" زوجته .... ذهبا معا إلى مكان "فرجين" رآها العازف فحزن لمّا تذكّر أوّل لقاء معها ثم قال أحمد: "من فضلك يا زوجة العم هلّا أتيتي بها هنا ووضعتي على رأسها شالا أو ستارا

وأراها مكان في غرفة نظيف

خافت فرجين كثيرا وتمشّت معها بصعوبة وبطء وعيناها سوداوان يغمرها حزن كبير، ذهب أحمد صوبها وجلس أمامها وقال:" بسم الله الرّحمن الرّحيم."

اقشعرّ جسد العازف وكان له سابقة في سماعها فتشوّق لما سوف يحصل وبدأ أحمد بقوله:

" يس (1) وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ (2) إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (3) عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (4) تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (5) .. السورة رقم 36 من قران كريم

"أحمد" مع تلاوته الرّائعة والخشوع ينبعث منه كأنه ضوء الصّباح، أصيب كلّ الحضور بقشعريرة وشعور غريب لم يستطع أيّ أحد منهم الكلام فأكمل أحمد القراءة على المريضة وقال لها اغمضي عينيك وبنوع من الرّاحة والاطمئنان أغمضت عينيها لكن العازف لم يقو على كلّ هذا الإتقان لأنّه أفضل من أن يعرف معنى جمال الصّوت والفن ويقول في نفسه: "أهو غناء؟ لا ليس هو عرفت كل الغناء ولم أر هذا؟

- " أهو كلام الإله؟"، " نعم"

- "فوالله ما رأيت مثل هذا من قبل."

كتم العازف حبّه للأمر وركّز على ما يدور في فرجين.

فرآها تحمرّ ثم تبرد ثم تشتد وتتراخى كان هذا الكلام يخرج من جسدها شيئا عظيما

وأكمل "أحمد" حتى آخر الآية فاستفاقت "فرجين" كأنّها إنسان جديد كان نائما ورأت من حولها ثمّ نامت من شدّة التّعب

تركها "أحمد" وقال لهم: "دعوها تستريح فهي بإذن الله بخير."

قال العازف: "ما فعلته بها لم يكن شيئا طبيعيّا أهو سحر؟"

- "استغفر الله بل هو شفاء لما في الصّدور."

- "ما هذا ؟"

- "هذا هو القرآن الكريم الّذي تحدّثت لك عنه من قبل."

- "صدقت والله ما كذبت فهو كلام الإله وما شعرت من قبل مثل الّذي شعرت به الآن."

تبسّم أحمد وحمد الله على ما رآه وسمعه

- "قالت الزّوجة إنّك إنسان صالح يا أحمد ودينكم هذا ليس ببعيد عن ديننا ولولا الفرقة السّياسيّة لكنّا في صفّ واحد."

- "ماذا تقصدين بالفرقة؟"

- "أقصد نحن نتبع دين الحاكم لنعيش بخير فهو يجمع ضرائب من غيّر دينه ويعفو عن أشياعه."

- "لكن الله من يرزق النّاس جميعا."

- "سكتت الزّوجة وقالت نعم ولم ترد أن تزد في الحديث وكلّها سعادة بشفاء البنت،

قال لهم أحمد أنه سوف يأخذها إلى منزلها فلها عائلة تنتظرها.

- " ألست أخاها؟"

- "لا أنا كفيل بها بعد موت والديها وسوف تعيش هاته البنت مع جدتي."

****

إسمي شمس الهدى

بما أنّ "أحمد" شارك في الحرب ومن أهل البلد فقد امتاز بالحصانة ومكان في الأرض الشّرقية وله الحق في الدخول والخروج من البلد كيف يشاء، ألبس "فرجين" لباس محتشم كأنّها مسلمة وراق لها ذلك فقبل الخروج معها إلى الطّريق بساعة جرى هذا الحديث معهما.

- "من أنت وكيف عرفتني وتقول أنّي أختك ... وقبل كلّ شيء شكرا لك."
- "بل الشّكر لله ونعم إنّني كما وصفتك لهم إنّك أخت لي في الله."
- "وكيف عرفتني ولما تبحث عني؟"

نظر إليها وتبسّم وقال: "لست أنا من أبحث عنك."

- "إذن من؟!"
- " سيليا"

طارت فرجين من مكانها وبصوت مرتفع:" أختي سيليا تقصد؟؟؟"

- "نعم هي وجدّتي الحسناء."
- "ااه أنت أحمد الّذي تحدّثت عنك الجدّة وذرفت عيناها دمعا وقالت كيف حالكم؟ وحال أخي بيدرو؟؟؟ ألم يأت معك للبحث عني ؟ وحزنت"

- "أسر حزنه بداخله وقال لا لم يأت لنذهب نحن إليه و إلى سيليا."
- "وكيف أثق فيك؟"
- "قال ألم تثقي في كلام أشفاك؟"
- "قالت بلى و الله."
- "إذن هلمّي ارتدي هذا"، وقد جلب لها حجابا كاملا.
- " قالت ما هذا؟"
- " رداء المسلمين. "
- "لست مسلمة."
- " سوف تكونين. "

تبسّمت وقالت: "ربّما."

وتبسّم أحمد وخرجا للطّريق حيث القطار مباشرة ليعودا أدراجها.

أحمد كونه مسلم ترك لها مقعدا بعيدا عنها وفي الطّريق حمل كتاب الله يقرأ منه ليطوي عنه سفره، وبقيت "فرجين" تشاهد أخلاقه وطيبته وعلمت يقينا أنّ من أتى بهذا الدّين لهو حقّ من يعبد وتتوّقت لمعرفة المزيد عن الدّين وظلّت تسأل "أحمد" عنه لتتعلّم ما استطاعت طيلة الطّريق.

****

حيث قالت له بحياء: "لو عرفت هذا الدّين ما كنت أشتكي من ربّي ولكن بعدما سمعت تلاوتك كنت قد خرجت من عالم الخيال إلى الواقع ورأيت أشياء تتزعزع بداخلي وتتألّم وتريد أن تنقذ نفسها فقط، فهي كحرارة تارة تحرق قلبي وتتجوّل بين مفاصلي لم أعلم أتؤلمني أو تؤلمها وتارة برودة وكلّ أيّام الشّتاء تسري في جسدي من رأسي إلى أخمص أرجلي وهذا القرآن يتغلغل في صدري كالنّور يطهّر سويداء فؤادي ويريح عصبي ويرجع عقلي فكنت أنت تقرأ وأنا أتذكّر رسائلي وما قلته لربّي فكأنه استجاب وطهّرني لكن أرشدني فوالله ما لبث حتّى تداركت أنا هذا الكلام كلام الله الملك الّذي أحتاج أن أسمع كثيرا وطلبت المزيد لكي تقرأ حتى أرتاح فعلّمني إيّاه، إن أردت بي خيرا فإنّي أحسّ أنّي لو ملكت هذا الدّين ما احتجت أنيسا يواسيني بعدها ولا خفت ظالما ولا اشتكيت لأحد فأنا الآن شخص جديد وأتمنى من أخي بيدرو أن يتدارك الأمر ويشعر بما شعرته فوالله هو أحق بهذا الدّين لكونه طيّب القلب مقداما وشجاعا من ارتباطه باليهودية وقرابته لذلك الدّين قوي."

- "هل تريدين معرفة الاسلام؟"

- " نعم"

- "أيّ مجال يشغلك فيه؟"

- "حدّثني عن السّيدة مريم ومن هي حقّا."

فهم "أحمد" لم سألت عنها وارتباط سؤالها بدينها القديم فقط لمّحت أنّها شكّكت فيه، ثمّ قال إنّ مريم عندكم كالّتي عندنا

اندهشت فرجين وقالت

- "كيف ألست مسلم !؟"

- "بلى مسلم ولكن أنتم عبدتموها ونحن قدّسناها ولكن لم تقل اعبدوني أنا وابني ولكن فعلتم فهل قرأتي كتابكم المقدس؟"

- "نعم أكيد."

- "وهل قالت اعبدوني أو أنا ربّكم في عبارة صريحة؟"

- "لم تقل لكن هكذا تعلّمنا"

- "إذن شككتي ؟"

- "نعم وكنت أتألّم كثيرا من هذا الأمر."

- "نحن نعبد إله واحد لا إله غيره وهو من خلق مريم وباقي الرّسل ونحن نؤمن بهم وهو من أتى بكلام شاف به قلبك فلا أزيد عن هديه إلّا هذا القرآن

ولن أخوض في فتوى أو مناظرة إلّا لإنسان يتعمّد مقاتلة هذا الدّين ولا أظنّك منهم فشعورك بالقرآن خير دليل وكاف لمعرفة أنه الحق، أليس كذلك؟"

- "نعم صدقت."

- "وأريدك بعد ذلك أن تتعلّمي الدين وتخلصي النيّة بالشّهادة."

- "كيف أخلص النية؟!"

- "ردّدي معي."

- "حسن."

- "أشهد أنّ لا إله إلا الله وأشهد أنّ محمدا رسول الله."

- "أشهد أنّ لا إله إلا الله وأشهد أنّ محمدا رسول الله."

- "من محمد؟"

هنالك أخرج يوسف من جعبته كتابا صغيرا يرافق دائما القرآن وهو سيرة رسول الله وأعطاها إيّاه وقال: "هديّة منّي

أريدك أن تصلي إلى طريق الهدى وتري شمسها تنير قلبك."

راقت لها هاته الجملة فقالت: "أريد الهدى" بحزن

فقال لها: "أتمنّى أن تكوني بعد هذا شمس الهدى وتساعدي كل من حولك وتنيري طريقهم."

وقعت كلمة الإسم على قلبها وقالت سوف أغيّر إسمي فلا أطيق تسمية "فرجين" بعد الآن

نظر إليها أحمد وقال: "فلتكوني شمس الهدى إذن"

فرحت به فرجين كثيرا وقالت لأحمد: "هل عندك ورقة وقلم؟"

- قال: "عندي"

- قالت: "ناولهما لي"، وكتبت آخر رسالة لبيدرو

الرسالة الأخيرة من شمس الهدى إلى بيدرو

وبدأت تكتب وتتبسّم وجاء في طيّها كالآتي:

" سلام عليك أخي بيدرو أعلم أنّك سوف تندهش من إسم صاحب الرّسالة واسمي الجديد فها أنا اليوم برداء جديد وقلب جديد ووجه جديد أرى نفسي كأنّي خلقت من جديد وسوف أخبرك بهذا التّغيير عندما أصل إلى المنزل اشتقت لك أخي وقد قبل دعائي أخيرا فقط أنتظر أن يجمعنا الله معا وأختنا في أقرب وقت ونتحدث كثيرا وكثيرا، سعدت كثيرا بمعرفتك لهذا الرجل النّزيه أحمد"

ثم نظرت الى أحمد وهو لا يزال يمرّر عيناه في كتاب الله وتبسّمت.

"أخي لن أطيل عليك فهذه الرّسالة الأخيرة منّي وبعدها أعلم أنّنا سوف نلتقي قريبا

سمّيت إسمي" شمس الهدى" وأتركك تخمّن لماذا وتتشوّق لمعرفة الأمر ...." ضحكت فرجين وحمل رأسه أحمد ونظر إليها وقال: "لمن هاته الرّسالة أظنُها لعزيز عليك."

احمرّ وجهها خجلا وقالت: "نعم لأخي بيدرو."

- "بيدرو؟"

- " نعم"

هنالك لم يستطع أحمد أن يتلفّظ بالحقيقة الصّادمة الّتي يخفيها ويحزنها فهي لا تعلم باستشهاد أخيها وبحكمة حكى لها قصة عن تضحية الصّحابة في عهد رسول الله وكيف أثابهم الله ليمهّدها للصّدمة فلا يريد أن يرجعها كما كانت

عن تعويض الله أتحدث ..

وصل القطار إلى المحطّة الأخيرة وذهب بشمس الهدى إلى المنزل أين التقت أخيرا أختها بعد مدّة طويلة

بعد طرق الباب الّذي تألفه الجدّة سارعت إلى الباب وتبعتها سيليا الصّغيرة تنظر ما وراءه

حتّى فتح الباب لترى "أحمد" و"شمس الهدى" أمامها فبكت فرحا وعانقت هدى عناقا طويلا وبادلتها هي الأخيرة نفس الشّعور وبقيت "سيليا" تنظر وتبكي والتصقت في هدى تصرخ وتقول: "فرجيييين يا أمّي اشتقت لك"، جثّت على ركبتيها" فرجين" قبّلتها وحضنتها من كثرة الحنين لها..

- "قومي فرجين وتعالي إلى بيت المعيشة لترتاحي من تعب السفر"، وحملتها وقالت:" تعال يا أحمد فعندي حديث لك مطوّلا مع فرجين. "

نظر إليها أحمد مستغربا ثمّ قال: "اسمها الآن شمس الهدى."

نهاية القصة ...

تمت بحمد اللّٰه.